الفصل الثاني عشر

لقد ترددت كثيرًا .. قبل كتابة ذلك الجزء لما فيه من مفارقات ووقائع وأحداث.. قد تؤدي بالقارئ إما .. إلى الموت ضحكًا ..! أو الحجز بمستشفى الأمراض العقلية جبرًا ..! منضيعش الوقت ونخش في الموضوع.. وبالعرض وبالطول.. مع إني مشغول..؟

أكتوبر عام ١٩٧٠.. دخل جميع طلاب الشرطة المقبولين بالكلية.. ودي لها (قصة أخرى جانبية) مساء أحد أيام الجمعة في هذا الشهر(مولدي).. إلا .. أنا .. ليه يعكننوا عليا ..؟ سألت بعض الإخوة طلبة كلية الشرطة على محطة ترام سيدي جابر بالإسكندرية.. قبل توجههم للقطار.. أنكل.. أنكل.. نعم.. ممكن أسالك سؤال؟.. بكام؟ يا ساتر يا رب..! طلبة ولا مناشير..؟ هو ما فيش رحمة أو إنسانية.. يا أنكل أنا الباشمهندس سعيد سويلم.. (كنت قبلت في كلية الهندسة).. وأنا الباشويش عباس الخشن.. من أولها كده.. المعاملة مجففة وعايزة سنفرة..! طيب..

بسأل بس.. أنا قُبلت بكلية الشرطة.. ممكن أبدِّل الشيك إن (check in) للكلية.. وآخره تلات أيام..؟ نعم يا خويا .. ليه..؟ يا أخي دي حاجة ساقعة أوي (ظروف مهببة ومقندلة ومطينة اشيعليك أنت.. وأنت أنكل غريب وعجيب والله..!).. ظروف يطول شرحها والقطر حاييجي ياخدكم كلكم.. ومش حتلحقوا..

تعرفوا.. بمناخيركم المندسة ديه.. طيب ممكن لغاية أسبوع.. واحد تاني قال: اسبوعين.. أنا.. مين يزود.. هرج لغاية ما الكلية ترفدك.. وتعملك شيك أوت..؟ أنا.. والقطر يفوتكم ويصفر لكم..؟ طبطبت على نفسي.. وبعدين لميت ظروفي ونفسي.. وتوكلت على الله لوحدي بعد أربع أيام.. وكانت رسوم الكلية ٦٧جنيه + ٢٧جنيهًا قيمة شنطة مستلزمات وملابس الإقامة بالكلية من الجمعية الاستهلاكية التعاونية لمساكن الشرطة بالعباسية بجوار الكلية وبها المحتويات التالية:

(ملابس داخلية ملونة لأسبوع كل يوم لون + فُرش سنان شُحار ومعجون + فرشه سباط لتميع الجزمة وورنيش ودوكو + وسبداج ومحار وبلانكو رومي + بيجامة كستور واخرى تيل ناديه + روب دي شمبر لاستقبال الضيوف في طرقة العنبر + عدد اثنين منديل تيل عشان العطس في البرد بدل المسح في الكُم + سلبس تاتا للرياضة أبيض مش على مقاسك + كوفية عند اللزوم.. للانتحار + عدد اتنين شراب باستك للسع أي حد يرخم عليك..! نحاسة وبراسو لتلميع الوجه والزراير النحاسية والباغة وقفا زميلك العزيراللي بجوارك بالسرير + قلشين لزوم ربط الحمار.. أقصد الحصان برجلك عشان مايرفسكش..! + ماكينة حلاقة ودستة أمواس لقطع الشرايين مع الشعر عند الاضطهاد والإحباط..!) الإجمالي ٩٧ جنيه يبطح جنيه..

خدوا بالكم قوي من اللي جاي.. وصلت للبوابة.. لقيت المدفعين.. من أولها كده بيدبحولنا القطة ولا إيه.. دنيا.. اقتربت بكل ثقة واقتدار.. كأنني عمر المختار.. وبس قلت.. احم.. احم.. اتفتح الباب الكبير العالي.. لذو المقام الغالي.. سعيد باشا سويلم.. وبكل ألاطة.. وشايل الشنطة.. فين الرسيبشن والمرافقين.. ..! واحد على الشمال وواحد على اليمين.. أهلا.. أهلا بالغالي والكبير.. سعادتك كنا لمعاليك مستنيين..؟ .. كل ده وأنا حاسس إني مش مستريح.. يمكن عشان مكان وجو جديد..! .. سعادتك النهارده الاثنين وكنا منتظرين وصول معاليك الجمعة اللي فات.. اللي فات مات.. وأنا بعت لكم تلغرافات وقلت فيه الميعاد.. وحاسود عيشتكم لو كنتم لغيتوا الحجز بالسويتات..! .. تؤمر يا باشا.. كل شيء تمام.. وسعادتك اتفضل المخزن.. أقصد الصالون عشان استلام المهمات.. بسرعة عشان أنا جاي من السفر وعايز أريح شوية.. يا سلام إحنا موجودين لراحة سعادتك.. وسعادتك..! الناس دول مؤدبين وحاكتب لقيادتهم شهادات شكر وتقدير.. جابوا بطانية رصاصي وفردوها قدامي وحطوها.. وعليها جبال وأطنان من الملابس كأني في سوق الكانتو أو زنقة الستات بالإسكندرية.. وشالوها.. وبدأوا في تجربة وقياس الملابس عليا.. قلتلهم: فين الفيتينج روم.. (غرفة تبديل وتغيير الملابس..)؟.. فهموني غلط وودوني الحمَّام.. إيه الذكاء ده..!

أنا شاكك إنهم عساكر بس مؤدبين وموانسني.. ومثابرين.. وعليا صابرين..؟ .. وشوية واحد منهم اسمه عبد الستار قعدني على فوتيه في الصالون (المخزن) على الرصيف ومسك رجلي اليمين وقال للي معاه واسمه حمدي.. ياله.. لبسوني الجزمة البيادة للقياس وكل شوية أرفصها وأرميها في وشهم.. وقول لهم مش مريحاني..! وأخيرًا قمت بالبيادة مقاسي.. وهما ورايا بالبطانية المليئة بالمهمات تأكد حدسي.. اللي عمره ما خابشي عساكر.. عساكر مفيش كلام.. طلعت من جيبي الشمال نص جنيه..!

(وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يلاه بقى بشرقوا نفسكم.. مبلمين..! طماعين.. طيب خدوا كمان نص جنيه تاني.. وده آخري..! وبدأت فوهة وبركان الندالة.. يا شويش جوهري.. يا شويش ممدوح.. ياله ياله.. إيه شغل العيال ده.. نادوا كل العساكر شوف حاعمل فيكم كلكم إيه.. يا ابني أنت وهو أنا كمان أربع سنين حابقي ضابط عليكم..! وأحاكمكم كلكم على الحركات الخايبة ديه.. .! وعينكم ما تشوف إلا كل خير..! ويا رب وما يحكموش عليكم باللي شفته وحصلي.. صريخ وصوات.. ودخان ورماد.. وشخط ونطر.. وزغرد ووجز.. لا دول زودوها قوي ولا بد من محاكمتهم.. رميت الشنطة في وشهم وجريت على ضابط نقيب بالطرقة عيونه خضر وشعره أصفر وكلمته بالانجليزي نزل الهلب. قصدي هلب مي.. من باد جنود..؟ قاللي

أنا أسبيك دومنيك.. وايه اللي حصل ليك؟.. قلت: العساكر دول عايزين يتربوا عند الشاويش عبد ربه.. أخدني على جنب وقالي الحقيقة المرة.. دول صف ضباطك الأعلى.. وطلبة متفوقين.. في سنه رابعة.. وحايبقوا ضباط آخر السنة دي.. وحايسووك ويعدلوك ويدلقوك في الحلة.. وكل أيامك حتبقى مُوره..! مين دول طلعوا.. أعز الإخوة وأكرمهم.. وكانوا ماسكين نفسهم من الضحك عليا.. وورووني أيام كلها ألوان أخفها وأرحمها الأسود..! الحبيب الغالي والخلوق الشاويش عبد الستار.. وهوه اللي متولي سلقي بالحلة فوق النار.. والشويش حمدي سعد رياض (تسعه استعد).. والشويش جوهري (سته استعد).. والشاويش ممدوح أبو العلا.. مركبني السلاحليك وأنزل بالبراشوت.. وكل شوية أغير الشيلوت..! .. والشاويش مدحت ثابت الكاشف.. مخليني طول السنة لوحدي أزق في جدار العنبر عشان أزحزحه وأوسعه..؟ .. أما الضابط الخواجة فهو ضابط الفصيلة النقيب عمر السويسي. رحم الله الراحلين وبارك وأمد في عمر الباقين.. أخدوني كلهم كأنهم لقوا لعبة.. أو لقية.. وأدخلوني لقائد السرية (١٣) الرائد محمود سامي شهدي.. خير.. إيه الكائن ده. .ده طالب جاي من الأقاليم (الإسكندرية) وشايف نفسه شويه.. وبيتحايل علينا عشان.. يحضر نفسه بعد غياب..؟ جبت الفلوس؟ أيوة يا فندم عطيتهم كل واحد نص جنيه عملوا هيصه وما اخدهوش..! .. بكلمك على رسوم الكلية..!

نعـم.. آه.. افتكـرت.. ممكـن سـيادتك مـوس..! ! حاتهـرج يـا فنـدي..؟ طـب.. بـلاش مطـواة!.. أنـت كنـت بتشـتغل إيـه قبـل مـا تيجـي الكليـة..؟ طالـب في العباسـية الثانويـة بالإسـكندرية ودي مدرسـة المتفوقـين يـا فنـدم.. عايـز المـوس والمطـواة ليـه.. عشـان أدفـع المصاريـف..؟ .. حاتغزنـا ولا إيـه.. ليـه.. عشـان اللـي عملـوه معـاك؟ لا يـا فنـدم أنـا قلبـي طيـب وحنـين وبأنسـي الأسـية.. المـوس ليـه يـا فنـدي وخلَّصنـي؟ واللّه يـا فنـدم عشـان أدفـع الرسـوم.. امسـكوه.. وكتفـوه..!

طـب حاجيبهـا إزاي يافنـدم.. حلقـوا عليـه وحاوطـوه.. خـد المـوس.. رحـت بالراحـة وبهـدوء مسـكت المـوس باليمـين وهمـا بيبصـوا ليـا وخايفـين..! وماسـك طـرف جيـب البنطلـون الخارجـي اليمـين.. وقعـدت أقطـع فتلـه فتلـة مـن خياطـة فتحـة جيبـي اليمـين.. وأخيـرًا بعـد ربـع سـاعة طلعـت مـن عقـر وعمـق جيبـي الرسـوم.. وشـاكوش وقـدوم.. ليـه عملـت كـده..؟ عشـان يـا فنـدم ده شـقى عمـري وجيرانـي ومديـون.. ودي أمانـة لازم أوصلهـا لسـيادتكم بالكامـل..! وولاد الحـرام في القطـر كتيـر..! وعايـز ربنـا يسـترها معايـا وأبقـى في المضمـون.. كـده طـب حمـوه..! ودونـي الشويشـية للحـلاق.. (مـع إن كان إجـازة الحـلاقين يـوم الاثنـين) وحلقـت زيـرو.. وقعـدت أعيـط علـى شـعري الحريـر اللـي بيتغنـى بيـه عبـد الحليـم.. وشـويى وحضـر باقـي زمـلائـي مـن المحاضـرات والغـذاء ولقيتهـم جميعـا يـول براينـر

وحسام حسن.. وللبروكة قلعين.. وفي أول يوم وكان لبسنا جميعا كالفار المسلوق.. شورت وتيشرت (قميص) وباريه.. وأنا بجوار مبني صالة الملاكمة المفتوحة كالبسارية الدايخة..! قلت ياه هل سأتذكر عندما أكبر، وربنا يوفقنا جميعًا كدفعة ٧٤ كيف بدأنا وكيف كنا وكيف أصبحنا بفضل وعون وتوفيق الله، ومن منا حقق ذاته وأحلامه.. ومن منا أرضى ربه وخاصة في خلقه..؟ ومن منا راحل ومن منا آخر الباقين.. والبقاء لله رب العالمين.

ويتساقط الأحباب كورق الشجر.. ونكاد نكون في صحراء جرداء.. من الأصدقاء والأعزاء الذين يرحلون الواحد تلو الآخر.. إلى أن نلقى الواحد الدايم الحنان.. لكم ولنا جميعا الدعوات بحسن الختام.. ورضا الله علينا.. الرحمن الغفار الرحيم.. ونستودعكم الله.. آمين.

●●●